مقدمة

في علوم القرآن

لمجدد دعوة التوحيد ببلاد المغرب

محمد تقي الدين الهلالي المغربي

رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى

نشره على الشبكة:

حاتم بن محمد المغربي

Hatim_elatary@hotmail.com

مقدمة في علوم القرآن للعلامة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المغربي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب والصلاة والسلام على محمد وآله والأصحاب.

أما بعد: فإن تدريس علوم القرآن وتفسيره وعلوم الحديث ومتونه يشكو إلى الله الغربة في بلاد الإسلام، وقد أعرض عنه الخاص والعام من المحترفين بالدين فضلا عن غيرهم.

أما في المدارس فإن القرآن والحديث مجفوان كل الجفاء ومجهولان كل الجهل ومنبوذان وراء الظهور، وإن كان اسم تدريسهما في المنهاج مسطورا فإنما هو اسم مجرد عن المعنى.

وقد رأينا في الكليات من يدرس القرآن والحديث وعلومهما و لم يحضر فيهما درسا واحدا في حياته، وإذا جلس للتدريس يقضي الوقت في اتخاذ القرآن هزوا ولعبا والطعن في الإسلام بما تقر به أعين المستعمرين وأعداء العرب والمسلمين.

ولما عينت مدرسا في كلية التحرير سنة 1948 وجدت هناك أستاذا من أهل الغيرة على الدين وهو الأستاذ حسن محسن العاملي، وأخبرني أنه أشار على العميدة في السنة التي قبلها بعدم تدريس القرآن والحديث أصلا، قال لأن الذي تولى تدريسهما قبل ذلك كان من الذين يجهلون القرآن والحديث ويجهلون عليهما، وذلك زيادة على ما فيه من جريمة اتخاذ كتاب الله هزوا ولعبا وإضلال الطالبات مضيعة للوقت والمال. قال لي: ولما رأيتك قد عينت في هذه الكلية فرحت بتعينك وسأشير على العميدة في هذه السنة وكذلك على مجلس الأساتذة بتقرير تدريسهما في هذه السنة، وأقترح أن تكون أنت المدرس لهما وكذلك وقع.

ومنذ ذلك الحين أخذت أدرس هذين العلمين اللذين بهما فخر العرب والمسلمين وقد درستهما أيضا في كلية الآداب بدعوة من عميدها مدة من الزمان. ثم رأى رئيس القسم أن يدعو إلى تدريسهما من لا يحسنهما ولا يعرفهما أصلا ليجر له مغنما على سبيل المحاباة.

وأمثال هذه التصرفات في العهد البائد حدث عنها ولا حرج، ونرجو أن يوفق الله ولاة الأمور في هذا العهد الجديد عهد الثورة على الفساد والإجرام والتلاعب بالحقوق والواجبات إلى أن يعطوا كل ذي حق حقه ويصلحوا ما أفسده المفسدون.

ولما نقلت إلى كلية التربية –دار المعلمين العالية– قال لي عميدها إذ ذاك الدكتور خالد الهاشمي: أنني مسرور جدا بنقلك إلى كليتنا لأننا في حاجة إلى أستاذ يدرس القرآن والحديث بجدارة وتحقيق، فأرجو أن تتولى تدريسهما. فاستمررت في تدريسهما ودرستهما أيضا في كلية الشريعة سنة 1952 وفي هذه السنة أعني سنة 1958، وقد ألفت دروسا مناسبة لطلبة الجامعة وغيرهم من المبتدئين أرجو أن ينفع الله بها من شاء من عباده وسميتها **"قبسة من أنوار الوحي"**. وجعلتها أربعة أقسام:

- القسم الأول نبذة من علوم القرآن ([1])،
- والثاني تفسير سورة الفتح،
- والثالث نبذة من علوم الحديث
- والرابع نبذة من الأحاديث مع شرحها شرحا يعالج مشكلات العصر الحديث وأمراض أهله.

وقد اخترت سورة الفتح لتضمنها جهاد أعداء أسلافهم من مجد وما خلدوه من ذكرى في ميادين العزة والعدالة والأخلاق.

وأسأل الله أن يجعل هذا الكتاب من الأعمال النافعة في الحياة وبعد الممات.

الدكتور محمد تقي الدين الهلالي
الأستاذ في كلية التربية

([1]) وهو هذا الجزء.

الباب الأول: تعريف القرآن وتنزيله

س1 : ما هو القرآن ؟

ج1 : القرآن هو الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المعجز بأقصر سورة منه.

س2 : متى ابتدأ نزول القرآن على النبي ؟

ج2 : ابتدأ نزول القرآن على النبي في ليلة السابع عشر من رمضان من السنة الحادية والأربعين لمولده.

س3 : أين نزلت عليه أول آية من القرآن؟

ج3 : في غار حراء وكان يتحنث فيه أي يتعبد. وأول ما نزل عليه قوله تعالى ﴿ **ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥** ﴾ العلق: ١ — ٥

س4: متى نزلت عليه آخر آية من القرآن وما هي؟

ج4: آخر ما نزل عليه من القرآن على المشهور من الأقوال هو قوله تعالى: ﴿ **ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا** ﴾ المائدة: ٣ ، وكان ذلك يوم عرفة في السنة العاشرة للهجرة، والثالثة والستين من عمره.

س5: ما اسم الليلة التي ابتدأ فيها نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم؟

ج5: الليلة التي ابتدأ فيها نزول القرآن على النبي هي ليلة القدر التي قال الله فيها: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾ القدر: ١ - ٥ ، وقال فيها: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾ الدخان: ٣ - ٥ ، ولا نزاع أن هذه الليلة كانت في شهر رمضان قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ البقرة: ١٨٥.

س6: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخص شهر رمضان بشيء من تعبده قبل نزول الوحي عليه؟

ج6: روى ابن إسحاق عن أبي قتادة الليثي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجاور في حراء من كل سنة شهرا، وكان ذلك مما تتحنث به قريش في الجاهلية و(التحنث: التعبد).

س7: هل توجد إشارة في القرآن إلى تاريخ نزوله؟

ج7: قد أشار القرآن إلى تاريخ نزوله بقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ الأنفال: ٤١، والمراد بالجمعين المتلقيين جمع المسلمين وجمع المشركين في غزوة بدر، وكان ذلك على ما رواه أهل السير في يوم السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة، وهو اليوم الذي ابتدأ فيه ظهور الإسلام وانتصاره وعلو شأنه وعزة أهله وبزوغ شمسه، ففي هذا اليوم وفي هذا الشهر ظهر فجر الإسلام بنزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه آذن الله بنصره كما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ آل عمران: ١٣.

س8: كيف كان ختام الوحي؟

ج8: تقدم أن آخر ما نزل على النبي من القرآن آية المائدة ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ الآية، في السنة العاشرة من الهجرة. قال ابن جرير الطبري: لم يترل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية تحريم شيء ولا تحليله، و لم يعش بعدها إلا إحدى وثمانين ليلة (81).

البـــــاب الثـــاني: تنجيم القرآن

س9: كيف تلقى المشركون تنجيم القرآن؟

ج9: تلقى المشركون تنجيم القرآن بالاعتراض والإنكار وقد قال الله تعالى في سورة الفرقان: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الفرقان: ٣٢ ، وقال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ الإسراء: ١٠٦.

س10: هل يوجد في القرآن ما يدل على أن الله تكفل بحفظه من الضياع؟

ج10: نعم قوله تعالى ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ القيامة: ١٦ - ١٩. وقال تعالى في سورة الحجر ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩.

س 11: هل تحقق ما وعد الله به من حفظ القرآن من الضياع والزيد والنقص؟

ج11: نعم، لا يرتاب في ذلك إلا جاهل أو معاند مكابر كاليهودي "كولديت تسيهر" وأمثاله من الأعداء المكاشحين. وقد كفانا مؤونة الرد عليهم العلماء المنصفون من الأوربيين "كرماديوك بكثول" وديني [و]غيرهما.

وهذا من معجزات القرآن، فإن القرآن محفوظ من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وهو موجود يدرس في كل صقع، وتحت كل نجم في المعمورة أينما ذهبت تجده بحروفه لا يزيد حرفا ولا ينقص، ولا يوجد كتاب في الوقت الحاضر ولا في الماضي يمتاز بهذه الفضيلة ويتحلى بهذه الصفة من الكتب المقدسة عند الأمم، فكلها مختلفة ومشكوك في بعضها، ولم يوجد كتاب وعد الله بحفظه فيما نعلم إلا هذا الكتاب والله لا يخلف الميعاد.

البـــــاب الثالث: المكـــي والمدني

س12: إلى كم ينقسم عهد نزول القرآن؟

ج12: ينقسم عهد نزول القرآن إلى مدتين متمايزتين.

س13: ما هي المدة الأولى؟

ج 13: هي من 17 رمضان سنة 41 من مولده إلى أول ربيع الأول سنة 54 من مولده، وما نزل من القرآن في هذه المدة يسمى مكيا.

س 14: ما هي المدة الثانية؟

ج 14: هي ما بعد الهجرة، وهي تسع سنين وتسعة أشهر وتسعة أيام، من أول ربيع الأول سنة 54 إلى تاسع ذي الحجة سنة 63 من مولده وسنة عشر من الهجرة، وما نزل من القرآن فيها يقال له المدني.

س 15: كم هو مقدار المكي وكم هو مقدار المدني من القرآن؟

ج 15: مقدار المكي نحو تسع عشر من ثلاثين جزءا، ومقدار المدني نحو أحد عشر من ثلاثين جزءا.

س 16: ما هي السورة المدنية؟

ج 16: ثلاث وعشرون سورة كما يلي:

(1) البقرة، (2) آل عمران، (3) النساء، (4) المائدة، (5) الأنفال، (6) التوبة، (7) الحج، (8) النور، (9) الأحزاب، (10) القتال، (11) الفتح، (12) الحجرات، (13) الحديد، (14) المجادلة، (15) الحشر، (16) الممتحنة، (16) الصف، (18) الجمعة، (19) المنافقون، (20) التغابن، (21) الطلاق، (22) التحريم، (23) ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ ... وما عدا ما ذكر فهو مكي.

س 17: كم هو عدد سور القرآن؟

ج 17: مائة وأربع عشرة سورة، أولها الفاتحة وآخرها الناس. (والسورة في اللغة المترلة من منازل الارتفاع): قال الشاعر:

ألم تر أن الله أعطاك ســـورة

ترى كل ملك دونهـــا يتـــذبـــذب

كأنك شمس والملوك كواكب

إذا طلعت لم يبد منهن كوكب.

س 18: كيف أخذت أسماء سور القرآن؟

ج 18: لكل سورة من سور القرآن اسم خاص، أو أكثر من اسم فمنها ما أخذ اسمها من وسطها كسورة البقرة وآل عمران والمائدة والأنعام.

س 19: كيف كان يترل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم من حيث الكثرة والقلة؟

ج 19: كان يترل على النبي صلى الله عليه وسلم خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل.

وقد صح نزول الآيات العشر الأولى من سورة المؤمنين دفعة واحدة، وصح نزول غير أولي الضرر وحدها في سورة النساء في قوله تعالى ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ النساء: ٩٥، وصح نزول من الفجر وحدها في سورة البقرة في قوله تعالى ﴿

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ البقرة: ١٨٧، وصح نزول سورة الأنعام دفعة واحدة.

س 20: هل تعلم النبي صلى الله عليه وسلم القراءة والكتابة في مدرسة أو عند معلم؟

ج 20: لا، لم يتعلم النبي صلى الله عليه وسلم القراءة والكتابة لا في مدرسة ولا عند معلم والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ الأعراف: ١٥٧ الآية. وفي سورة العنكبوت قوله تعالى ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ العنكبوت: ٤٨.

س 21: كيف كان النبي يحفظ ما يتزل عليه من القرآن مع كثرته أحيانا؟

ج 21: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحمل شدة ويخاف أن يتفلت منه حتى نزل قوله تعالى في سورة القيامة ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ القيامة: ١٦ - ١٩.

س 22: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتمد على قوة حفظه وحدها في المحافظة على القرآن، أم كان يأمر بكتابة ما يوحى إليه به فور نزوله زيادة على حفظه وحفظ أصحابه؟

ج 22: كان إذا تفهم الآيات وحفظها بلغها الناس فأمر كاتبا من كتابه أن يكتبها إما على عسيب (وهو جريدة النخل) وإما على لخفة (واللخفة حجر رقيق) وإما على رقعة.

س 23: هل كان له كتاب معروفون وكم عددهم؟

ج 23: كان له كتاب معروفون يكتبون له وذلك بعضهم أن عددهم ستة وعشرون.

س 24: من هم أشهر هؤلاء الكتاب؟

ج 24: أشهر الكتاب الخلفاء الأربعة، وعامر بن فهيرة، وأبي بن كعب وهو أول من كتب له من الأنصار في المدينة، وثابت بن قيس بن شماس، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان وأخوه يزيد، والمغيرة بن شعبة، والزبير بن العوام وكثير غيرهم.

س 25: أين كان يحفظ ما كتب من القرآن؟

ج 25: كان ذلك يوضع في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكتب الكُتَّابُ لأنفسهم صورة منه.

س 26: هل كانت الآيات التي تنزل توضع في سورة خاصة وفي موضع خاص بها، أم كانت تضم إلى ما كتب كيفهما اتفق؟

ج 26: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلهم على موضع كل ما ينزل من الآيات ليضعوها في موضعها وفي سورتها.

س 27: ما هي أسباب حفظ القرآن حتى لم يَضِعْ شيء منه؟

ج 27: كانت حافظة الأميين وصحف الكاتبين والقرآن المكتوب في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها تتعاون على حفظ القرآن.

س 28. هل كان ترتيب الآيات توقيفيا لا توضع آية في موضع إلا بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم، وهل اتفق العلماء على ذلك؟

ج 28: نعم لا نزاع بين العلماء في أن ترتيب الآيات توقيفي بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

س 29: هل جُمِعَ القرآن كله في كتاب واحد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم؟

ج 29: لا، كان القرآن كله مكتوبا فيما ذكر ومجموعا في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن مجموعا في كتاب واحد.

س 30: هل وُجِدَ من الصحابة من يحفظ القرآن كله عن ظهر قلب أم كان ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وحده؟

ج 30: نعم، كان من القراء في العهد النبوي من يجمع القرآن كله حفظا عن ظهر قلب، منهم:

- عبد الله بن مسعود وهو من السابقين الأولين وقد رافق النبي صلى الله عليه وسلم في جميع زمن النبوة.
- وسالم بن معقل وهو مولى أبي حذيفة وهو مثل عبد الله بن مسعود في تقدم الإسلام والمرافقة.
- ومعاذ بن جبل.
- وأبي بن كعب.
- وزيد بن ثابت وهؤلاء الأربعة من الأنصار.
- وأبو الدرداء وغيرهم.

الباب الرابع: نزول القرآن
كيف كان ينزل القرآن على النبي

س 31: هل لنزول القرآن أسباب ظاهرة؟

ج31: كان القرآن ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم جوابا لسؤال، أو حلا لمشكلة توقف فيها وانتظر الحكم من الله تعالى.

س 32: هل نستطيع أن نجد دليلا في القرآن على ذلك؟

ج 32: في القرآن آيات كثيرة تدل على ذلك كما في قوله تعالى ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ البقرة: ٢١٩، وقوله تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ ﴾ البقرة: ٢١٩ ، وقال تعالى في آخر سورة النساء ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ ﴾ النساء: ١٧٦.

وأما الحكم في مشكلة وقعت للنبي فانتظر نزول الوحي فيها فهو كثير فمن ذلك قوله تعالى في أول سورة النور ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً

﴿ أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ النور: ٤ - ٥، وسبب نزولها أن بعض الناس اتهم بعض النساء فنزلت وثبت بها الحكم، وهو جلد القاذف، وكون شهود القذف أربعة.

س 33: هل كل آية في القرآن لها سبب معلوم يقينا؟

ج 33: لا، بعض الآيات سببها معلوم يقينا كما تقدم وبعضها مشكوك فيه وفيه اختلاف بين العلماء، وبعضها لا يعلم سببه إلا الله. ولا توجد آية إلا ومراد الله بإنزالها هداية الخلق إلى مصالح دينهم ودنياهم.

الباب الخامس: مميزات المكي والمدني

س 34: هل هنالك علامات يجدها الباحث تميز المكي من المدني، والمدني من المكي، أم تمييز ذلك مقصور على الرواية؟

ج 34: هنالك مميزات يعرف بها المكي والمدني غير الرواية.

س 35: ما هي مميزات السورة المكية؟

ج 35 : الآيات المكية في الغالب قصيرة روعيت فيها الفواصل بخلاف المدني في الغالب.

ومن ذلك أن المكي خالٍ من الأحكام في الغاب وإنما هو تسبيح وتمجيد لله ومواعظ وتزهيد في الدنيا وترغيب في تزكية النفس وأمر بالصبر على أذى المشركين، وبيان لقبح الشرك ومحاربة للمشركين وضرب الأمثال في ذلك، ففي سورة العنكبوت قوله تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ العنكبوت: ٤١ ، وفي سورة النحل ﴿ ۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ النحل: ٧٥. وبيان الاستدلال بالمخلوقات على الخالق كقوله تعالى في سورة يونس ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾

يونس: ١٠١ ، وفي سورة ق ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ ق: ٦ - ٨ . ومن ذلك قياس الشاهد على الغائب في الاستدلال على قدرة الله تعالى كما في آخر هذه الآيات قوله تعالى ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾ ق: ١١ . ومن ذلك ذكر الرسل السابقين وأممهم وما أصابها من العذاب بسبب تكذيبها الرسل.

وليس في السور المكية أمر بالجهاد وما يتبعه من مسالمة ومهادنة، وأسر، وفدية، وصلح وجزية، وليس فيها ذكر للهجرة ولا للقصاص والميراث أي بيان فرائضه ولا لإقامة الحدود.

الباب السادس: مميزات السور المدنية

س 36: ما هي السور المدنية ؟

ج 36: أما السور المدنية فآياتها في الغالب طويلة قليلة الفواصل، مملوءة بالأحكام والشرائع.

ففي سورة البقرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۝٢٧٩ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٨٠﴾ البقرة: ٢٧٨ - ٢٨٠ ، وفيها أيضا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ ﴾ الآية... البقرة: ٢٨٢، وفي سورة التوبة ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ التوبة: ٥. وفي سورة النساء ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ

فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوّٗا غَفُورٗا ﴿٩٩﴾ النساء: ٩٧ - ٩٩.

س 37: هل يختلف أسلوب السور المكية والسور المدنية من حيث البلاغة والأعجاز؟

ج 37: زعم بعض الأوربيين الذين ينظرون إلى القرآن بعينين إحداهما أوهنها الجهل باللغة العربية وأساليبها وبلاغتها، والأخرى أعماها التعصب الديني والسياسي والجنسي، زعم أن آيات السور المكية في غاية البلاغة والجمال، وأما آيات السور المدنية فهي ناقصة البلاغة. وحاول أن يعلل ذلك حسب عقيدته الفاسدة، بأن النبي كان في مكة راق البال، صافي القريحة، غير مشغول بالحروب وتدبير شؤون الدولة. أما في المدينة فإن اشتغاله بأعباء تدبير الدولة جعل إنشائه ناقصا في البلاغة، فهذا من الهذيان السخيف.

س 38: ما هو التعليل الصحيح لاختلاف أسلوب المكي وأسلوب المدني؟

ج 38: من المعلوم عند علماء البلاغة أن هناك مواضيع يحسن فيها السجع والتأنق في الألفاظ كالمقامات والخطب، وهناك مواضيع يحسن فيها الترسل كإنشاء القوانين، وفصل الخصومات وذكر الواجبات: ففي هذه المواضيع وأمثالها لا يحسن أسلوب الخطب. بل ينبغي توفر السهولة والوضوح. ونحن نرى كتاب الرسائل عند الملوك والوزراء يسلكون مثل ذلك، إذا كانوا حذاقا قد أوتوا شيئا من البيان وفصل الخطاب.

الباب السابع: جمع القرآن

س 39: من جمع القرآن ومتى جمع وما هو سبب جمعه؟

ج 39: روى البخاري في كتاب فضاءل القرآن من صحيحه بسنده إلى زيد بن ثابت قال أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده. قال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستمر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر: هذا والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني بنقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله؟ قال هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ

﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ التوبة: ١٢٨ حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر في حياته، ثم عند حفصة بنت عمر.

س 40: إذا كان أبو بكر هو الذي جمع القرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب واحد، فماذا صنع عثمان بالقرآن؟

ج 40: روى البخاري بسنده أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية واذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان، يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف، فننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة، إذا اختلفتهم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم. وأرسلَ إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

الباب الثامن: كيف كان نزول الوحي على النبي

س 41: ما معنى الوحي لغة واصطلاحا، وكيف كان يوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟

ج 41: الوحي في اللغة له معان منها: الإلهام والرسالة.

وفي الاصطلاح: إنزال الله ما شاء من كلامه إلى رسله.

قال البخاري في أول صحيحه "باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوله تعالى: ﴿ ۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ النساء: ١٦٣، ثم روى بسنده إلى عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقا.

س 42: كيف كان أول الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟

ج42: روى البخاري في صحيحه عن عائشة أيضا قالت: أول ما بُدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه –وهو التعبد في الليالي ذوات العدد– قبل أن يترع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ العلق: ١ - ٥ ، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني زملوني حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضعيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزي ابن عم خديجة، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى، فأخبره رسول الله خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك وقومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئتَ به إلا عودي وكُذِّبَ وإن يدركني يومك أنصرك نصرا موزرا، فلم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي.

الباب التاسع: باب آداب قارئ القرآن

س43: هل يجوز أن يتخذ القرآن وسيلة لغرض دنيوي؟

ج43: لا يراد بالقرآن إلا وجه الله ومن أراد به غير ذلك فقد حُرم التوفيق. قال البخاري في كتاب فضائل القرآن من صحيحه باب "من تأكل بالقرآن أو فخر به أو رايا به" ثم روى بسنده إلى علي قال سمعت النبي يقول: يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة.

وروى بسنده إلى أبي سعيد الخدري أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يخرج فيكم قوم، تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

وروى بسنده عن أبي موسى عن النبي قال: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالثمرة طعمها طيب ولا ريح

لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر أو خبيث وريحها مر.

الباب العاشر: أسباب نزول القرآن

س44: ما المراد بأسباب النزول؟

ج44: تقدم في جواب السؤال الحادي والثلاثين والثاني والثلاثين ما يوظح معنى أسباب نزول القرآن فراجعه.

س 45: من هو أول من ألف في علم أسباب نزول القرآن؟

ج45: قال السيوطي في كتاب الإتقان: أول من ألف في هذا العلم علي ابن المديني شيخ البخاري ثم تتابع الناس في التصنيف فيه. ثم قال: وقد ألفت فيه كتابا سميته "لباب النقول في أسباب النزول".

س46: ما فائدة هذا العلم؟

ج46: قال السيوطي: زعم زاعم أن هذا العلم لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ، وأخطأ في ذلك؛ فله فوائد منها:

معرفة حكمة التشريع.

-ومنها تخصيص الحكم به عند من يقول إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب،

-ومنها أن اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر

التخصيص على ما عدا صورته فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد

ممنوع،

-ومنها الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال.

قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها. وكذلك قال ابن دقيق العيد وابن تيمية.

وحكي عن عثمان بن مظعون وعمرو ابن معدي كرب أنهما كانا يقولان: الخمر مباحة ويحتجان بقوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ الآية المائدة: ٩٣. ولو علما سبب نزولها لم يقولا ذلك. وهو أن ناسا قالوا: حرمت الخمر فكيف بمن قُتِلُوا في سبيل الله أو ماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس، فنزلت. أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما.

ومنها قوله تعالى ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ البقرة: ١١٥، فإنا لو تركنا مدلول اللفظ لاقتضى أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة سفرا ولا حظر، وهو خلاف الإجماع، فلما عرف سبب نزولها علم أنها في نافلة السفر أو فيمن صلى بالاجتهاد وبان له الخطأ على اختلاف الروايات.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ ﴾ البقرة: ١٥٨ فإن ظاهر لفظها لا يقتضي أن السعي فرض، وقد ذهب بعضهم إلى عدم فرضيته تمسكا بذلك، وقد ردت عائشة على عروة في فهمه بسبب نزولها، وهو أن الصحابة تأثموا من السعي بينهما لأنه من عمل الجاهلية فنزلت.

س47: هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟

ج47: اختلفوا في ذلك والصحيح أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. يعني إذا نزلت آية لسبب خاص هل يكون الحكم خاصا بذلك السبب أم يتعدى إلى كل ما دل عليه اللفظ؟ الثاني هو الصحيح والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها أن آية الظهار نزلت في سلمة بن صخر، و لم تقتصر عليه بل تعدت إلى غيره.

س48: ما هي آية الظهار؟

ج48: هي الآية الثالثة والتي بعدها من سورة المجادلة قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ﴾ المجادلة: ٣ - ٤.

س49: ما هو الظهار وما معنى هاتين الآيتين؟

ج49: الظهار أن يقول الرجل لزوجته: أنت علي كظهر أمي، يعني في الحرمة مبالغة في تحريمها على نفسه، وكانت العرب تقول ذلك إذا غضب أحدهم على زوجته، فأنزل الله الآيات الثلاث، هاتين الآيتين والتي قبلهما، وقوله: ﴿ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ ﴾ أي يريدون العودة إلى ما حرموا على أنفسهم.

فتحرير رقبة: أي عتق رقيق مملوك.

من قبل أن يتماسا: أي قبل أن يستمتع كل منهما بالآخر. فمن لم يجد ما يحرر به رقبة فعليه أن يصوم شهرين صياما متتابعا بدون انقطاع، فإن كان عاجزا عن الصيام فعليه إطعام ستين مسكينا.

س50: من هو سلمة بن صخر الذي نزلت بسببه هذه الآيات وما قصته؟

ج50: روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده بإسناده إلى سلمة بن صخر الأنصاري قال سلمة: لما دخل رمضان تظهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فَرَقاً من أن أصيب منها- ما يؤدي إلى المحظور فلم أملك نفسي أن أصبت ما حرم- فغدوت على قومي وأخبرتهم خبري وقلت انطلقوا معي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه بأمري، فقالوا: لا والله لا تفعل نتخوف أن

يترل فينا أو يقول فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة يبقى عارها، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك. قال: فخرجت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبري فقال: أنت بذاك؟ فقلت: أنا بذاك، قال: أنت بذاك؟ قلت: نعم ها أنا ذا فأمض فيَّ حكم الله فإني صابر له. قال: اعتق رقبة، قال: فضربت صفحة رقبتي بيدي وقلت: لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها، قال: فصم شهرين متتابعين، قلت: يا رسول الله وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام. قال: فتصدق، فقلت: والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه ما لنا عشاء، قال: اذهب إلى صاحب صدقة بني زربق فقل له فليدفعها إليك فاطعم عنك وسقا من تمر ستين مسكينا ثم استعن بشائره عليك وعلى عيالك. قال فرجعت إلى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ووجدت عند رسول الله السعة والبركة وقد أمر لي بصدقتكم فادفعوها إلي فدفعوها إلي.

الباب الحادي عشر: حفظ القرآن

س51: ما هو حكم حفظ القرآن عن ظهر قلب؟

ج51: حفظ القرآن عن ظهر قلب فرض كفاية على الأمة الإسلامية، صرح بذلك جماعة من العلماء. نقل صاحب الإتقان عن الجويني أنه قال: والمراد بذلك أن لا ينقطع عدد التواتر فيه فلا يتطرق إليه التبديل والتحريف والزيادة والنقص، فإن قام بذلك قوم يبلغون هذا العدد سقط عن الباقي، وإلا أثم الكل والظاهر أن هذا الفرض على أهل كل قطر من الأقطار المأهولة بالمسلمين.

س52: ما حكم تعليم القرآن؟

ج52: تعليم القرآن فرض كفاية أيضا على أهل كل قطر يسكنه جماعة من المسلمين. لأن ما لا يتم الغرض إلا به فهو فرض. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: خيركم من تعلم القرآن وعلمه. ولذلك لا يجوز طلب الأجرة على تعليم القرآن وعلمه.

س53: كيف يكون تعلم القرآن.

ج53: يكون بالسماع من المعلم والقراءة عليه وهو يسمع إلى أن يشهد المعلم للقاري بأنه مجود حسن التلاوة.

س54: هل يتوقف الكمال في الأدب العربي على حفظ القرآن ومعرفة تجويده؟

ج54: نعم لا ريب أن الأديب لا يكون كاملا في الأدب العربي إلا إذا حفظ القرآن وجوده. لأن كتب الأدب تستشهد بألفاظ من القرآن فلا يستطيع الأستاذ ولا المتأدب أن يعرف وجه الاستشهاد إلا بمعرفة ما قبلها وما بعدها. وذلك ظاهر في شروح الألفية مثلا وفي غيرها من كتب علوم اللسان العربي. وقد بلغني أن لليسوعيين في لبنان شهادة في الأدب العربي لا يمنحها إلا من حفظ القرآن. ولا يخلو منهاج تعلم اللغة العربية في الجامعات الجرمانية من نصيب لا بأس به من القرآن.

س55: لماذا جعلتم كل هذه الأهمية للقرآن من حيث الأدب العربي؟

ج55: لا يخفى أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي بلغنا من كلام العرب بيقين. فلابد لمتعلم هذه اللغة من تعلمه كله أو بعضه للاطلاع على الأسلوب العربي وتذوق بلاغته وإلا كان ناقص الأدب.

س56: لماذا قلتم أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي بلغنا من كلام العرب يقينا؟ فماذا تقولون في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وفي أشعار العرب الجاهليين والإسلاميين؟

ج56: أما الحديث فقد اختلف علماء اللغة والقواعد في الاحتجاج به لأن بعض الرواة يروونه بالمعنى لعدم حفظهم الألفاظ التي سُمعت من النبي، ولأن الحديث لم يكتب ويدوَّن في

كتب محفوظة إلا في العهد العباسي الذي لا يحتج بكلام أهله. وقد ذهب ابن مالك وجماعة إلى الاحتجاج به، وأما الشعر العربي ففيه شك لأنه لم يكتب ويجمع إلا بعد انقراض العرب الذين يحتج بكلامهم وأما ما قيل أن المعلقات السبع كانت مكتوبة ومعلقة في الكعبة فحديث خرافة وبذلك ترى صحة ما قلناه.

ثم أن القرآن هو أصل الأدب العربي لبلوغه حد الإعجاز في البلاغة، ولما يشتمل عليه من العلوم والحكم والأمثال التي لا ينبغي للأديب أن يجهلها، وقد اشتغل الأجانب بمباحث القرآن فألفوا فيها كتبا كثيرة إذا أردت الاطلاع عليها فأقرأ ما كتب في الموسوعات عند لفظة "قرآن" فهو العار على أبناء العرب أن يكونوا أبعد عن هذا الكتاب وأجهل من الأجانب.

الباب الثاني عشر: الناسخ والمنسوخ في القرآن

س57: ما معنى النسخ لغة واصطلاحا وما مقدار عناية المسلمين به؟

ج57: قال في الإتقان أفرده بالتصنيف جماعة نذكر بعضهم. ثم قال: قال الأئمة لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ.

والنسخ في اللغة: يرد بمعنى الإزالة ومنه قوله تعالى في سورة الحج: ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ ﴾ الحج: ٥٢ إشارة إلى قصة الغرانيق، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم حتى بلغ ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ ﴾ النجم: ١٩ - ٢٠، صاح أحد الشياطين تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فظن المشركون أن النبي

صلى الله عليه وسلم هو الذي قال ذلك ففرحوا به، فلما فرغ النبي من قراءة السورة سجد فسجد معه المسلمون والمشركون جميعا، فلما علم النبي أن ذلك الشيطان قال على لسانه ذلك الكلام المتضمن لمدح الأصنام اغتم لذلك فأنزل اله تعالى في سورة الحج ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣ ﴾ الحج: ٥٢ - ٥٣.

ويأتي النسخ بمعنى التحويل ومنه التناسخ في الفرائض بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى آخر.

والنسخ في الاصطلاح: إزالة الحكم كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه في الصلاة إلى الكعبة.

س58: هل أجمع علماء المسلمين كلهم على وجود النسخ في القرآن؟

ج58: جمهور علماء الإسلام يقولون بوجود النسخ في القرآن وأنكره أبو مسلم الخرساني. وزعمت اليهود أن النسخ لا يجوز لأنه بداء كالذي يرى الرأي ثم يبدو له أنه باطل فيرجع عنه وذلك محال على الله. وهو باطل؛ لأنه بيان لمدة الحكم كالإحياء بعد الإماتة وعكسه، والمرض بعد الصحة وعكسه، والفقر بعد الغنى وعكسه وذلك لا يكون بداء فكذا الأمر والنهي.

وقد جنح كثير من أهل هذا العصر إلى قول أبي مسلم فرارا من اعتراض اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام. قال بعضهم: لا توجد آية في القرآن قيل بنسخها إلا وهناك برهان قائم على إبطال القول بنسخها.

قال السيوطي: وقال ابن الحصار: إنما يُرْجَعُ في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن صحابي يقول آية كذا نسخت كذا.

قال مؤلفه: إذا رفع الصحابي ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فهو حجة وأما إذا قاله برأيه و لم يجمع عليه أصحاب رسول الله فليس بحجة. ثم قال ولا يعتمد في النسخ ول عوام المفسرين بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينه لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد.

س59: ما هي أشهر الآيات التي قيل بنسخها؟

ج59: هي في سبعة مواضع من القرآن، وهي:

-الأولى: من سورة البقرة قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ البقرة: ١٨٠، قيل نسخت بآية المواريث في سورة النساء ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ ﴾ النساء: ١١ إلى آخرها.

-الثانية: من سورة البقرة قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ ﴾ البقرة: ١٨٣ – ١٨٤، نسخها قوله تعالى بعدها: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ ﴾ البقرة: ١٨٥

-الثالثة: من سورة البقرة ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ ﴾ البقرة: ٢٤٠، الوصية منسوخة بآية المواريث.

-الرابعة: من سورة النساء ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ ﴾ النساء: ٣٣ منسوخة بقوله تعالى في آخر سورة الأنفال: ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ ﴾ الأنفال: ٧٥.

-الخامسة: من سورة النساء ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ النساء: ١٥ منسوخة بآية النور ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ ﴾ النور: ٢.

-السادسة: من الأنفال ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الأنفال: ٦٥ قيل نسختها الآية التي بعدها ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ

أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الأنفال: ٦٦.

-السابعة: من المجادلة قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ المجادلة: ١٢ - ١٣ قيل أن الآية الثانية نسخت الأولى.

وقد تركنا ذكر الآيات التي نسخت حكما لم يثبت بالقرآن كآية التوجه في الصلاة إلى الكعبة استقبال بيت المقدس وهو ظاهر في آيات البقرة كقوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ ﴾ البقرة: ١٤٣.

ولا ينبغي أن يحكم بالنسخ إلا بعد قيام البرهان القاطع والنقل الصحيح والتثبت.

يليه الكتاب الثاني في تفسير سورة الفتح.